بسم الله الرحمن الرحيم

تصدير

عَبيد بن الأبرص ، أحد شعراء المعلَّقات ، وأحد قدماء الشعراء ، الذاهبين فى القِدم شأوا بعيدا . ولعبيد مكانة خاصة ، لها خطرها من وجوه عدّة : من وجه فنىّ ، لوضعه بين شعراء الجاهلية ، ولكونه مرحلة انتقال بين الشعر البادئ الذى لم تستو له القِيَم الفنية ، وتطبَّق عليه المأثورات والقواعد الشعرية ، وبين الشعر الناضج الذى نعرفه ؛ ومن وجه تاريخىّ ، إذ يلقى شعره عدّة أضواء على أحداث شبه الجزيرة العربية فى عصره .

وعجيب أن نجد الأقدمين من الأدباء واللغويين يُقلون الرجوع إلى شعر عبيد ، والاستشهاد به فى أبحاثهم ، حتى لانجد له ما نجد لمعاصريه وزملائه من الجاهليين فيما بين أيدينا من كتبهم . ولعل سبب ذلك الاضطراب الذى ساد كثيرا من شعره ، لعدم سيره وفقا للقواعد الشعرية .

وشاعر هذا شأنه ، يكون من الشاق تحقيق شعره ، بل يتعذّر تصحيح بعض المواضع المحرفة منه . وعلى الرغم من ذلك ، أخذ المستشرق المدقق « سير تشارلس ليال Sir charles Lyall » على عاتقه إخراج ديوانه ، على المخطوطة الوحيدة المعروفة منه ، والمحفوظة بالمتحف البريطانى . ولم يألُ جهدا فى سبيل تحقيقه ، فأخرجه عام ١٩١٣ طرفة جديرة بكل إعجاب .

وقد اتصلت بهذا الديوان منذ أمد ، فأعجبنى تحقيقه ، وأعجبتنى مقدمته . فما تمالكت أن ترجمتها ، لأزفها إلى زملائى من دارسى الأدب العربىّ . ثم وقعت على كثير من قصائد عبيد مخطوطة فى « منتهى الطلب من أشعار العرب » لابن ميمون ، وهو مرجع لم يطلع عليه المحقق .

وإذ وجدت هذه المجموعة تصحح كثيرا من شعر عبيد ، وتزودنا بروايات جديدة ، بالإضافة إلى ما تمدنا به المراجع الأخرى ، وجدتنى مسوقا إلى إخراج شعر عبيد ، باتخاذ ديوانه من تحقيق «ليال» أصلا لى. وشحذ همتى إلى ذلك عدم طبع شعر عبيد، فى مصر وغيرها من البلاد العربية من قبل ، وعجز الباحثين عن الحصول على طبعة ليال .

ونهجت فى عملى على ترتيب القصائد على قوافيها ، دون تقيد بترتيب طبعة ليال ، أو طول القصائد ؛ وعلى ذكر المصادر التى توجد فيها القصيدة أو أبيات منها ، وفى الحالة الأخيرة وضعت تلك الأبيات بين قوسين بعد ذكر المصدر ، ليبين للقارئ أىّ الأبيات مذكور فى المصدر . وصدّرتُ القصائد الكبيرة بكلمة ، أطلقت عليها « جوّ القصيدة » ، ذكرت فيها أسباب نظم القصيدة، إن كانت قد وصلت إلينا، وتحليلا لموضوعاتها . وقد أخذت هذه الكلمات مما صدر به المحقق المستشرق ترجمته لقصائد عبيد . فقد ترجم قصائد الديوان كلها، وقدّم بين يديها مثل هذه الكلمات . وحاولت أن آتىَ بجميع الروايات المذكورة فى كلّ بيت ، وأن أشرح كل لفظة غريبة ، فإذا كان البيت لايزال غامضا بعد شرح المفردات ، أو ذا وجهة خاصة ، فسّرته تفسيرا عاما مجملا . وتمسكت فى شرحى بما أدلى به الشرّاح القدماء فى الديوان ، أو فى المصادر الأخرى .

وقد عالج المحقق المستشرق أمورا ذات أهمية فى مقدمته ، إذ صدّرها ببحث عن مقتل حُجْر بن الحارث، أبى امرئ القيس الشاعر المعروف ، وملك بنى أسد قبيلة عبيد ، وهو أحد الموضوعات الرئيسية فى شعر عبيد. ثم عالج المناطق التى كانت تحلها بنو أسد بالتحديد والوصف . ثم تتبع مايعرفه الباحثون من أحداث حياة الشاعر . ثم أتى ببحث فى شعره ورواته وصحته أو انتحاله ، وأسهب فى هذه المسألة إسهابا جميلا، له قيمته العلمية فى شعر عبيد وغيره من شعراء العرب .

ولهذه الأهمية التى تتصف بها مقدمة ليال ، ولإعجابى بها كما أسلفت ، رأيت أن آتى بها هنا كاملة دون اختصار .

والله الموفق إلى الصواب ، والهادى إلى سواء السبيل ؟

حسين نصار

المحتويات

الموضوع	الصفحة
تصدير	٥
مقدمة ليال	٨
مقدمة جامع الديوان المخطوط	٢٦
* * *	
الديوان	١
الفهارس	١٤١
فهرس القصائد	١٤٢
فهرس الأعلام	١٤٥
فهرس المواضع	١٥٠
معجم الألفاظ	١٥٣

مقدمة ليال

عاصر عبيد بن الأبرص الأسدى حُجْرًا ، أمير كندة ، الذى حكم أبوه قبائل أسد وغطفان ، وكنانة [1] ، فى أواخر القرن الخامس ، أو الربع الأوّل من القرن السادس ، حين امتدت سلطته على القبائل العربية الشمالية . ويذكر المؤرّخون البيزنطيون غارات شنها (فيما يبدو) حُجْر وأخوه معدى كرب (الذى تقول الروايات إنه ولى على قبائل قيس أو هوازن) على الحدود الرومانية عام ٤٩٧ ، ٥٠١ م [2] . وربما كان هذان الثاريخان وقت انقسام القبائل بين أبناء الحارث على وجه التقريب . ويسمى المؤرّخون البيزنطيون هذين الأميرين أجاروس وباديكاريموس .

وكان من أبناء حُجر امرؤ القيس الشاعر المشهور ، الذى يُجمع النقاد على أنه أعظم شاعر فى العصور القديمة وصلت إلينا قصائده . وقصائد امرئ القيس الباقية كثيرة بالنسبة لما بقى من غيره من شعراء عصره ؛ وتدلّ المواضع المذكورة فى قصائده الطويلة التى لايذكر فيها حروبه وطوافه ، على أنه ألّفها فى شبابه وهو يقيم مع أبيه فى أرض بنى أسد [3] . ولذلك ، نظنّ أن حكم حُجر استمرّ عدة سنين ، وإن استحال علينا تقدير مدته .

وطُرِد الحارث الكندىّ ، الذى يظهر أنه مدّ سلطانه إلى الحيرة على الفرات ، عاصمة اللخميين ، طرده منها خَتَنُه المنذر بن ماء السماء المشهور ، الذى يعرفه المؤرّخون الإغريق باسم « المندرس أوساكيكاس » أو « زاكيكس » ، وكان يهدد الحدود الرومانية من عام ٥٠٦ إلى ٥٥٤ . ويدعى البيزنطيون أن المنذر قتل الحارث عام ٥٢٩ ، ولكن هذا الادّعاء مشكوك فيه ، إذ تتفق الروايات العربية على أنه توفى ، فى موضع يسمى مُسْحلان من

---

(١) انظر وصف ابن الكلبى لليوم الأول من الكلاب فى Noldeke – Festschrift (١٩٠٦) ص ١٣٦ .

(٢) انظر الفقرات الأصلية لتيوفانس مقتبسة عند برنو ودوماسزيوسكى Brünnnow and Domaszewski, Die Provincia Arabia ٣ : ٣٤٨ - ٣٤٩ . ويقول تيوفانس إن أجاروس قتل أو (مات) قبل هجوم باديكاريموس فى ٥٠١ ، ولكن ربما كان ذلك غير صحيح .

(٣) أنظر ابن قتيبة : الشعر والشعراء ٢٧ .

أرض كلب ، وهو فى الصيد [1] فى زمن ربما كان متأخرا قليلا على ٥٢٩ . ويبدو أن الإمارات التى ولى عليها أبناؤه فى شمال بلاد العرب أخذت تتحلل من سلطتهم [2] بعد موته ، مهما كان تاريخه ، وانتهى مُلك حجر على بنى أسد بمقتله الفجائى على أيديهم . ويروى « كتاب الأغانى [3] » ما لا يقل عن أربع روايات مختلفة عن هذا الحادث .

١ — أولاها ، رواها هشام بن الكلبى (المتوفى سنة ٢٠٤) عن أبيه محمد (المتوفى سنة ١٤٦) الذى قال إنه سمعها من أحد أحفاد الكاهن الأسدى [4] : « أن حجرا كان فى بنى أسد ، وكانت له عليهم إتاوة فى كل سنة مؤقتة ؛ فغبر ذلك دهرا . ثم بعث إليهم جابيه الذى كان يجبيهم ، فمنعوه ذلك — وحجر يومئذ بتهامة — وضربوا رسله وضربوهم ضربا شديدا قبيحا ، فبلغ ذلك حجرا ؛ فسار إليهم بجند من ربيعة ، وجند من جند أخيه من قيس وكنانة [5] ، فأتاهم وأخذ سراتهم ، وجعل يقتلهم بالعصا — فسموا « عبيد العصا [5] » — وأباح الأموال ، وصيرهم إلى تهامة ، وآلى بالله ألا يساكنوهم فى بلد أبدا ، وحبس منهم عمرو بن مسعود بن كندة بن فزارة الأسدى ، وكان سيدا ، وعبيد بن الأبرص الشاعر ، فسارت بنو أسد ثلاثا . ثم إن عبيد بن الأبرص قام فقال : أيها الملك اسمع مقالتى :

يا عين فابكى ما بنى أسدٍ فهم أهل الندامه

... القصيدة [6] .

فرق لهم حجر حين سمع قوله ، فبعث فى أثرهم فأقبلوا ، حتى إذا كانوا على مسيرة يوم من تهامة تكهن كاهنهم ، وهو عوف بن ربيعة . . . فقال لبنى أسد : ياعبادى ! قالوا : لبيك ربنا . قال : من الملك الأصهب ، الغلاب غير المغلب ، فى الإبل كأنها الربرب ، لا يعلق رأسه الصخب ، هذا دمه ينثعب ، وهذا غدا أول من يسلب . قالوا : من هو يا ربنا؟ قال : لولا أن تجيش نفس جاشيه ، لأخبرتكم أنه حجر ضاحيه . فركبوا كل صعب

(١) يوم الكلاب الأول ١٣٦ .
(٢) انظر نفس المرجع ، وخاصة صفحة ١٥٣ .
(٣) الأغانى ٨ : ٦٥ - ٦٧ .
(٤) الأغانى ٨ : ٦٨ .
(٥) انظر ديوان امرئ القيس ، القصيدة ٥١ ، البيت ٣ .
(٦) رقم ٤٨ فى الديوان .

وذلول ؛ فما أشرق لهم النهار حتى أتوا على عسكر حجر ، فهجموا على قبته . وكان حُجْر من بنى الحارث بن سعد ، يقال لهم بنو خَدّان بن خنثر ، منهم معاوية بن الحارث وشبيب ورقية ومالك وحبيب ، وكان حجر قد أعتق أباهم من القتل . فلما نظروا إلى القوم يريدون قتله ، خيّموا عليه ليمنعوه ويجيروه . فأقبل عليهم علباء بن الحارث الكاهلى ، وكان حجر قد قتل أباه ، فطعنه من خلَلهم فأصاب نَسَاه فقتله . فلما قتلوه قالت بنو أسد : يامعشر كنانة وقيس ، أنتم إخواننا وبنوعمنا ، والرجل بعيد النسب منا ومنكم ، وقد رأيتم ما صنع بكم هو وقومه . فانتهبوهم ، فشدّوا على هجائنه فزقّوها ، ولفوه فى ريطة بيضاء ، وطرحوه على ظهر الطريق . فلما رأته قيس وكنانة انتهبوا أسلابه ، ووثب عمرو بن مسعود [1] فضمّ عياله وقال : أنا لهم جار .

قال ابن الكلبى : « وعدّة قبائل من بنى أسد يدّعون قتل حجر ويقولون : إن علباء كان الساعى فى قتله وصاحب المشورة ، ولم يقتله هو » .

٢ — الثانية [2] ، عن أبى عمرو الشيبانى (المتوفى سنة ٢٠٥) قال : « بل كان حجر لما خاف من بنى أسد استجار عوير بن شَجْنة أحد بنى عطارد بن كعب بن سعد بن زيد مناة ابن تميم لبنته هند بنت حجر وعياله . وقال لبنى أسد لما كَسَرُوه : أما إذا كان هذا شأنكم فإنى مرتحل عنكم ومُخَلِّيكم وشأنكم . فواعدوه على ذلك . ومال على خالد بن خدان أحد بنى شَعْثَة ابن ثعلبة ، فأدركه علباء بن الحارث أحد بنى كاهل فقال : يا خالد اقتل صاحبك لايفلت فيعرّك وإيانا بشر ، فامتنع خالد . ومرّ علباء بقصدة رمح مكسور فيها سنانها ، فطعن بها فى خاصرة حجر وهو غافل فقتله . فى ذلك يقول الأسدىّ :

وقصدة علباء بن قيس بن كاهل منية حجر فى جوار ابن خدان »

٣ — الرواية الثالثة [3] عن الهيثم بن عدىّ (المتوفى سنة ٢٠٦) ، قال : « إن حجرا لما استجار عُوَير بن شجنة لبنيه وقَطِينه ، تحوّل عنهم فأقام فى قومه مدة ، وجمع لبنى أسد جمعا

---

(١) يسمى هذا الرجل باسم أحد نديمى المنذر الحيرى ، الذى أمر الملك فى سكره بقتلهما ، ثم بنى على قبريهما العمودين المسميين بالغريين ؛ انظر خرافة موت عبيد ، وانظر ابن قتيبة : الشعر والشعراء ١٤٤ .

(٢) الأغانى ٨ : ٦٦ وبعدها .

(٣) الأغانى ٨ : ٦٦ وبعدها .

سخيط من قومه ؛ وأقبل مُدِلا بمن معه من الجنود ؛ فتآمرت بنو أسد بينها ، وقالوا : والله لئن قهركم هذا ليحكمنّ عليكم حكم الصبيّ ! فما خير عيش يكون بعد قهر ، وأنتم بحمد الله أشدُّ العرب ، فموتوا كراما . فساروا إلى حجر ، وقد ارتحل نحوهم ، فلقوه فاقتتلوا قتالا شديدا ، وكان صاحب أمرهم علباء بن الحارث ؛ فحمل على حجر فطعنه فقتله ، وانهزمت كندة وفيهم يومئذ امرؤ القيس ؛ فهرب على فرس له شقراء وأعجزهم ، وأسروا من أهل بيته رجالا ، وقتلوا وملئوا أيديهم من الغنائم ، وأخذوا جوارى حجر ونساءه ، وما كان معه من شيء فاقتسموه بينهم » .

٤ — الرواية الرابعة [١] ، عن يعقوب بن السكيت (المتوفى سنة ٢٤٤) عن خالد الكلابى (كلب بطن من عامر بن صعصعة) قال : « كان سبب قتل حجر أنه كان وفد إلى أبيه الحارث بن عمرو فى مرضه الذى مات فيه وأقام عنده حتى هلك ، ثم أقبل راجعا إلى بنى أسد وقد كان أغار عليهم فى النساء وأساء ولايتهم ، وكان يُقَدَّم بعض ثَقَله أمامه ويُهَيَّأ نزله ، ثم يجيء وقد هيئ له من ذلك ما يعجبه فينزل ، ويُقَدَّم مثل ذلك إلى ما بين يديه من المنازل فيُضْرَب له فى المنزلة الأخرى ؛ فلما دنا من بلاد بنى أسد وقد بلغهم موت أبيه طمعوا فيه ؛ فلما أظلهم وضربت قبابه ، اجتمعت بنو أسد إلى نوفل بن ربيعة بن خدان ؛ فقال : يا بنى أسد من يتلقى هذا الرجل منكم فيقتطعه ؟ فإنى قد أجمعت على الفتك به ؟ فقال له القوم : ما لذلك أحد غيرك ؛ فخرج نوفل فى خيله حتى أغار على الثقل فقتل من وجد فيه ، وساق الثقل ، وأصاب جاريتين قينتين لحجر ، ثم أقبل حتى أتى قومه ، فلما رأوا ما قد حدث وأتاهم به ، عرفوا أن حجرا يقاتلهم ، وأنه لا بدّ من القتال ؛ فحشد الناس لذلك ، وبلغ حجرا أمرهم ، فأقبل نحوهم فلما غشيهم ناهضوه القتال وهم بين أبْرَقَيْن من الرمل فى بلادهم يدعيان اليوم أبرق حجر [٢] ؛ فلم يُلبثوا حجرا أن هزموا أصحابه وأسروه فحبسوه ، وتشاور القوم فى قتله ؛ فقال لهم كاهن من كهنتهم بعد أن حبسوه ليروا فيه رأيهم : أى قوم ! لاتعجلوا بقتل الرجل حتى أزجر لكم ؛ فانصرف عن القوم لينظر لهم فى قتله ، فلما رأى ذلك علباء خشى أن يتواكلوا فى قتله ؛ فدعا غلاما من بنى كاهل وكان ابن أخته ؛ وكان

---

(١) الأغانى ٨ : ٦٧ وبعدها .

(٢) انظر ياقوت ١ : ٨١ .

حجر قتل أباه زوجَ أخت علباء ، فقال : يا بنيّ ، أعندك خير فتثأر بأبيك وتنال شرف الدهر ، وإن قومك لن يقتلوك ؟ ! فلم يزل بالغلام حتى حرّبه ، ودفع إليه حديدة وقد شحذها ، وقال : ادخل عليه مع قومك ثم اطعنه فى مقتله . فعمد الغلام إلى الحديدة فخبأها ثم دخل على حجر فى قبته التى حبس فيها ؛ فلما رأى الغلام غفلة وثب عليه فقتله ؛ فوثب القوم على الغلام ، فقالت بنو كاهل : ثأرنا وفى أيدينا ، فقال الغلام : إنما ثأرت بأبى . فخلوا عنه » .

وتتفق الرواية الثالثة من هذه الروايات الأربع مع أقوال عبيد فى ديوانه [1] . انظر القصيدة ٣ البيت ٢٧ ؛ والقصيدة ٤٧ الأبيات ٦—٢٠ ، والقصيدة ٥٢ (كلها) ، والقصيدة ٣٧ الأبيات ١١ — ١٨ ، والقصيدة ٣٩ الأبيات ١٢ — ١٤ ، والشذرة ١ ، ٧ . ولا تتفق هذه المقطوعات جميعها مع الروايتين الثانية والرابعة .

أما الرواية الأولى ، فتوافقها القصيدة ٤٨ التى يشك فى صحتها ؛ ولكن هذه القصيدة توحى للمرء بأنها نُظمت فى عصر متأخر عن عصر عبيد (انظر ذكر « القيامة » فى البيت ١١) ولا يستطيع الإنسان أن يبعد عن خاطره الشكّ فى أنها من نظم أحد أعداء بنى أسد تعصبا لليمن (موطن كندة) على معد (أصل أسد) . وكثيرا ما تُعزى هذه المنحولات إلى ابن الكلبى ، خاصة فى الأخبار المتعلقة بالقبائل اليمنية وعرب الشمال : مثل الأشعار المنحولة [2] التى نسبها إليه مؤلف « الأغانى » عن الخصومة بين عامر بن الطفيل ويزيد بن عبد المدان من بَلْحارث ، والأبيات التى يقال إنه نظمها [3] ليحطّ من شأن دُرَيد بن الصّمة ، أحد أبطال هوازن ، ويرفع بلحارث .

بعد موت حجر ، وقع عبء الأخذ بثأره على ابنه الأصغر امرئ القيس ؛ ويذكر كتاب « الأغانى » [4] وصفا مطوّلا لما تكبده فى هذا السبيل . فقد طوّف بين القبائل ، حتى استحقّ اللقب الذى عُرف به فى الأخبار العربية « الملك الضِّلِّيل » ، بحثا عمن يساعده

(١) يؤيدها أيضا ابن قتيبة : الشعر والشعراء ، ص ٤٣ .

(٢) الأغانى ١٨ : ١٦١ .

(٣) الأغانى ٩ : ١٩ .

(٤) ٨ : ٦٧ وبعدها .

على الأخذ بثأره ، الذى لم يخاصمه فيه القبائل العربية وحدها ، بل المنذر ملك الحيرة ، الذى كان يبسُط سلطانه شيئا فشيئا على بلاد العرب الشمالية ، وأخيرا اضطرّ فى ثورة يأس إلى الالتجاء إلى قيصر ، فتبعه — كما تقول الأخبار — رسول من أسد ، يسمى الطمّاح ، استطاع أن يفسد عليه قيصر ، حين أخبره بوجود مؤامرة بين امرئ القيس وابنته عليه . ويقال : إن قيصر أرسل لامرئ القيس (الذى أعطاه قوّة لمساعدته فى قتال بنى أسد ، وشرع فى الرجوع إلى بلاد العرب) ، حلّة مسمومة مثل حلة نيسُوس فى الأساطير القديمة . وعندما ارتداها تساقط لحمه ، ومات جنوبى أنقرة [1] ، ولذلك يسمى « ذا القروح » ، وقد ذكر هذا الاسمَ الفرزدقُ الشاعر فى القرن الأوّل من الإسلام . ولا نعرف بالتحديد تاريخ وفاة امرئ القيس ، ولكن من المحتمل أن يكون توفى شابا ، فيما بين عامى ٥٣٠ و ٥٤٠ ، كما يظنّ الأستاذ « نولدكه » [2] ، وكان الامبراطور فى ذلك العهد « جستنيان الأوّل » . ونعرف من المؤرّخين البيزنطيين تواريخ عدة حوادث وقعت فى عهد الملكين العربيين المعاصرين : الحارث الأعرج الغسانى (٥٢٩ — ٥٦٩) ، والمنذر الحيرى (٥٠٦ — ٥٥٤) ، اللذين تعاقبا على السيطرة على الحدود الشمالية تحت رعاية الرومان والفرس . أما حوادث داخل شبه الجزيرة ، فليس لدينا مصدر لأخبارها غير الأخبار القبلية ، الغامضة المضطربة ، المرتبطة ارتباطا وثيقا بالقصائد التى ألّفها الشعراء القَبليون ، وجمعها الأدباء فى أواخر العصر الأموى وأوائل العباسى ، بعد ظهور الإسلام بوقت غير قصير . ولما كان هؤلاء الباحثون لا يعرفون المدوّنات البيزنطية ، ولم يكن أمامهم غير هذه الأخبار المأثورة ، فإنهم استنبطوا منها تاريخا لا يتفق مع الحقائق المثبتة فى المدوّنات المذكورة .

وكانت حدود أرض أسد تمتدّ جنوبى تَيماء المشهورة ، وشرقى طريق التجارة العظيم الممتدّ من الشمال إلى الجنوب ، وهو الآن طريق الحجّ من مَعان إلى المدينة ، وغربى وجنوبى الحدّ الغربى من أجأ وسَلمى ، جبلى طيئ . وكانت أسد [3] أقصى قبائل معد شمالا ، على

---

(١) ديوان امرئ القيس ، القصيدة ٢٨ .

(٢) انظر مقال « المعلقات » فى دائرة المعارف البريطانية ، الطبعة الحادية عشرة ، ص ٦٣٤ .

(٣) يظهر اسم أسد بين رعايا الملك امرئ القيس ، الذى يوجد قبره فى النمارة فى الرحبة شرقى حوران =

الطريق من الجنوب إلى فلسطين وسورية ؛ وراءها قبائل عُذرة ، وجُذام ، وبَلِى اليمنية ، على الطريق التجارى ، وإلى شرقها وشمالها الشرقى قبيلة كَلب ، اليمنية الأصل أيضا فى المنخفضات المسماة الآن بوادى سرحان والجوف ، يفصلها عن أسد شريط واسع السلاسل الرملية (النفود الآن) . وقد زار عدّة رحالة أوربيين أرض أسد . وعبّر « دوتى » فى ربيع ١٨٧٧ ، فى طريقه من مدائن صالح إلى تيماء ، ومن تيماء إلى حائل . واخترقها ايوتنج Euting وهوبر Huper عام ١٨٨٤ . ووصف حديثا مستر دجلاس كرزرث Douglas Carruthers ، الذى زار تيماء من الشمال فى شتاء عام ٨ — ١٩٠٩ ، تجاربه فى « مجلة الجمعية الجغرافية الملكية » عدد مارس ١٩١٠ ، ومناظر هذه المواطن متنوّعة . ففى الشرق والشمال سلاسل جبال أجأ وسلمى ، تمتدّ شمالا بشرق وجنوبا بغرب وهى كُتل هائلة من الجرانيت ؛ وفى الغرب المرتفع الرملى ومناطق الحصى المتاخمة لطريق الحجّ ، وتصبح فى الربيع مراعى خصبة ، كثيرة المياه . وفى الوسط منطقة السلاسل والضفائر من المرتفعات الصخرية المختلفة ، وفى الجنوب الحرّات الكبيرة ، أو سهول اللافا البركانية ، لاتخلو من المراعى والمياه ، وأكبرها حرّة خيبر ، وكان اسمها حرّة ضَرْغد [٢] .

وكان عَبيد من سعد بن ثَعْلبة « بن دُودان بن أسد » ، ويبدو أن نسبه الكامل هو : عَبيد بن الأبْرص (بن عوف) [٣] بن جُشَم بن عامر بن مالك بن زُهير (أوهرّ) بن مالك ابن الحارث بن سعد بن ثعلبة .

ويصف البكرى [٤] أرض بنى سعد بأنها على مَبعدة ١٦ ميلاً من فَيْد فى اتجاه الكوفة ،

= حاملا نقشا مؤرخا بعام ٣٢٨ م ؛ انظر دسو : «العرب فى سورية قبل الإسلام Dussaud, Les Arabes en Syrie avant l'Islam.» ص٣٤ وبعدها . ولكنها ربما كانت قبيلة أخرى بالاسم نفسه ، كما تذكر نزار وسعد ومذحج أيضا فى النقش ، وترجع هذه الأسماء إلى طبقة من النسب أكثر قدما من أسد بن خزيمة . فالواضح أن امرأ القيس (مرأ القيس) هذا ملك لخمى قديم .

(١) كثيرا ما يذكر قدماء الشعراء لحما مع جذام : مثال ذلك فى المقطوعة ٤٥ من عبيد . أما بلى فكانت تقيم على وجه التقريب غربى طريق التجارة وبلاد أسد ، ولا تزال تسكن المنطقة نفسها . (انظر دوتى : الصحرا العربية Doughty : Arabia Deserta)

(٢) انظر الديوان ، القصيدة التاسعة عشرة ، البيت الأول .

(٣) لعل عوفا اسم أبيه ؛ أما الأبرص فمعناه المصاب بالبرص ، وهو إذن لقب .

(٤) ص ١٠٣٣ .

على سفوح جبل عُنيزة . وتذكر فى القصائد عدّة أماكن من هذه المنطقة[1] . ويدلّ وصفها على أنها ليست بعيدة عن مدينة «حائل» الحديثة ، وأن دور بنى أسد كانت مختلطة بدور بطون طيّ . ويبدو من القصيدة ٤ أنها تعرّضت لخسائر جسيمة من جرّاء هجمات بنى غسّان بقيادة الحارث الأعرج[2] ، الملك النشط ، الذى تعرفه القسطنطينية جيدا . ويذكر مطلع القصيدة الخامسة إقفار أرضهم ، والقصيدة ٤ البيت الثانى ، تفرقة الباقين أبين البطون الأخرى من القبيلة . ويُذكر فى قصائد أخرى معاهدات مع الحارث ؛ وكان الوضع الجغرافى يجعل أسدا أوّل قبيلة مستقلة من أصل غير يمنى يحاربها الملك الغسّانى فى حملاته التى يبعثها لمعاقبة مهاجمى الحدود الرومانية . وربما شارك هذا البطن من أسد فى هجمات حجر ومعديكرب المذكورة آنفا عامى ٤٩٧ و ٥٠١ .

ولكن الحوادث التاريخية الرئيسية المذكورة فى القصائد تتصل بقتل حجر ، ومحاولة امرئ القيس الثأر له . ويخاطب عبيد فى إحدى قصائد الديوان (رقم ٤٨) البالغة ثلاثين قصيدة ، حُجْرا نفسه ؛ ويخاطب فى القصائد ٤٧ ، ٢٨ ، ٣٧ ، ١٩ امرأ القيس ، أو يشير إليه ؛ ويذكر فى قصيدتين أخريين ، بالإضافة إلى ماذكر فوق ، أى رقم ٣ (البيت ٢٧) ورقم ٣٩ (البيت ١١) مقتل حجر . . ويشير ثلاث (رقم ١ ، ٢٤ ، ٤٦) من الشذرات فى آخر الديوان إلى الحادث نفسه .

ولايرتبط عبيد بامرئ القيس بواسطة هذه الأحداث التاريخية وحدها : إذ توجد إشارات واضحة فى أشعارهما كليهما تدلّ على أنهما عالجا موضوعات واحدة ، وربما اشتركا فى منافرات ودية (قبل ظهور العداء بينهما) . فتوافق أشهر قصائد عبيد ، الأولى : قصيدة امرئ القيس ١٥ فى طبعة آلورد فى العبارات والوزن ، كما بيّن الدكتور هُمّل Dr. Hommel عام ١٨٩٢ [3] . وهذه ظاهرة جديرة بالملاحظة ، لأن بحرهما من نوع البسيط ، غاية فى النذرة ، بل لاأعرف مثالا آخر منه فى الشعر العربى القديم . وهناك حالات

---

(١) انظر الفهرس الجغرافى .

(٢) بين الأستاذ لتمان ، فى مقال نشره فى مجلة الدراسات الشرقية Rivista degli Stūdi Orientali ، ١٩١١ ، العدد الرابع الصفحة ١٩٣ - ٥ ، أننا نملك سجلا نقشيا عن حملة قام بها الحارث على خيبر فى ٥٦٧ م . وطبيعى أن هذه الحملة متأخرة كثيرا عن حياة عبيد : ولكنه ربما غزا المنطقة عدة مرات من قبل .

(٣) Ausfatze u. Abhandlungen, 52 - 92 .

أخرى يظهر فيها الشاعران يستمدان من ذخيرة شعرية واحدة فى العبارات والموضوعات ؛ أو يعالجان موضوعاتهما معالجة واحدة ؛ وأُوجّه الأنظار إلى التعليقات فى القصائد المختلفة .

ولست بمحتاج إلى القول بأن هذه الإشارات التاريخية والاتفاقات فى معالجة الموضوعات تعطينا أدلة قوية على صحة القصائد ، قصائد الشاعرين الأسدىّ وأمير كندة ، التى ترد فيها ؛ وقد نشكّ فى التفاصيل الخرافية عن قتل حجر ، وطواف امرئ القيس طلبا لثأره ، كما جاءت فى الروايات ؛ ولكن يبدو لى أنه لامبرّر للشكّ فى الحوادث الرئيسية . بل رحلة امرئ القيس إلى امبراطور القسطنطينية لطلب نصرته ، التى تبدو غير محتملة للوهلة الأولى ، يوجد ما يؤيدها فى قصيدة عبيد٤٧ البيت ١٩ ، ويوجد شاهد آخر يؤيد صحة الخبر الذى تذكره الروايات عن وضع الأمير ، حين شرع فى رحلته إلى الشمال ، ذخيرةً قيمة من الأسلحة والدروع لدى الزعيم اليهودى السموءل بن عادياء ، فوضعها فى قصره الأبلق بجوار تيماء . وحين توفى امرؤ القيس فى أثناء رجوعه ، ظهر الحارث ١ ملك غسان وحامى الحدود الرومانية ، أمام الأبلق ، وطالب بأسلحة امرئ القيس . فرفض الزعيم اليهودى أن يسلم وديعته ، حتى عندما هدّده الحارث بقتل ابنه ، الذى أسره وهو خارج القصر يصطاد ، أمام نظر أبيه ، وقد قتله فعلا . ومهما يكن من شىء ، فإن الملك الغسّانى عجز عن اقتحام القصر ، وانسحب دون أن يقضى وطره . ومن الواضح أن الحارث اعتمد فى طلبه وديعة امرئ القيس على أن امرأ القيس صار من الرعية الرومانية باستنصاره قيصر ، وأنه المسئول عن إرثه ، لكونه ممثل الرومان ، وقد وردت مكرمة السموءل هذه فى قصيدة مشهورة [٢] لأعشى قيس يمدح بها شريحا ، من ولد السموءل ، فى أوائل القرن السابع الميلادى ، ولا يمكن أن يتطرّق الشكّ إليها .

---

(١) ذكر ابن قتيبة ٦ ؛ أن الذى حاصر الأبلق إنما هو الحارث بن مالك ، قريب الملك الحارث ، لا الملك نفسه .

(٢) القصيدة فى الأغانى ٨ : ٨٢ ، وابن قتيبة : الشعر والشعراء ١٣٩ - ٤٠ ، والميدانى (فريتاج) : الأمثال ٢ : ٨٢٩ ؛ وانظر نولدكه Noldéke, Beitrage ٥٨ - ٦٤ . وعبر نولدكه ، فى مقاله عن السموءل فى مجلة الأشوريات Zeitschrift f. Assyriologie ٢٧ : ١٧٣ ، عن بعض الشك فى خبر السلاح ، إذ يمثل الشاعر الرئيس اليهودى مجيبا على نداء التسليم : « إنى مانع جارى » ؛ ولكن أليس من الممكن أن تذكر حماية أملاك الجار باعتبارها حماية للجار نفسه ؟ وانظر الخبر المماثل عن أسلحة النعمان وذخائره فى يد بنى بكر ، قبل وقعة ذى قار .

ولا تشير أية قصيدة فى الديوان إلى موت امرئ القيس ، ومن المحتمل أن عبيدا لم يعش بعده .

وليس لدينا أخبار عن تفاصيل حياة عبيد ، غير ما جاء فى قصائده . ومن الواضح أن الأخبار التى تروى عنه خرافية ، ولاتحمل طابع الصدق . قيل : إن سبب قوله الشعر : أنه أتاه آت فى منامه [1] تحت شجرات بالعراء بكُسْبَة من شعر ، فألقاها فى فيه ، وقال : قل مابدا لك ، فأنت أشعر العرب ، وأمجد العرب . وقيل : إنه عُمِّر طويلا جدا ، حتى لقد قيل ٣٠٠ عام [2] ، كما قيل إنه زار حاتم طيئ المشهور فى صحبة بشر بن أبى خازم والنابغة الذبيانى ، فى أثناء وفودهم على بلاط النعمان أبى قابوس ، آخر خلفاء الحيرة اللخميين . ولا يتفق هذا مع الرواية الأخرى الصحيحة ، القائلة بأن عبيدا قتله المنذر بن ماء السماء جدّ النعمان ، ونعرف من المؤرّخين البيزنطيين والسريانيين أن المنذر قُتل فى حربه مع الحارث الغسّانى عام ٥٥٤ م ؛ إذًا فهو آخر عام يمكن أن تؤرّخ به وفاة عبيد ، وإن كنا لانستطيع أن نعرف المدة التى انقضت على وفاته قبل ذلك العام . ولم يتولّ النعمان العرش إلا حوالى عام ٥٨٠م . والخبر العجيب عن قتل المنذر لعبيد [3] فى الصفحة ٢ — ٤ من الديوان ؛ وربما كانت أحسن رواية له الموجودة فى « أمالى » القالى . وكان الغَرِيّان أو الطَّربالان المبنيان على قبرىْ نديمى الملك الأسديين ، واللذين كان المنذر يسفح عليهمادم أوّل من يراه فى يوم شؤمه ، لايزالان فى زمن ابن قُتيبة [4] فى الكوفة (المتاخمة للحيرة القديمة) ، ويقال فى معجم ياقوت [5] إنّ مَعْن بن زائدة ، فى زمن ثعلب النحوىّ ، وجد أحدهما داثرا ، والآخر ماثلا .

ويظهر فى معظم قصائد عبيد أنها من تأليف رجل متقدّم السنّ ، ينظر إلى شباب يعدّه من أجمل المراحل التى قام فيها بجلائل الأعمال . ولا يتفق هذا مع الخبر القائل بأنه كان فقيرا مقلاّ يرعى غُنَيْمة له ، حينما هبط عليه الإلهام للمرّة الأولى ؛ ويبدو أن نسختنا زادت

---

(١) انظر الديوان (طبع ليال) ص ١ .

(٢) ابن قتيبة : الشعر والشعراء ١٤٤ ، أبو حاتم السجستانى : كتاب المعمرين ٦٦.

(٣) يعزو ابن قتيبة (١٤٤) الفعلة فى غباء إلى النعمان .

(٤) الشعر والشعراء ١٤٤ .

(٥) ياقوت ٣ : ٧٩٥ وبعدها .

عبارة [1] ، ليست فى رواية الخبر المطبوع فى « القصائد العشر » ص ١٥٩ ، لتبين أن فقره يرجع إلى بَسْط يده ، وصلة رحمه .

ويوضع عبيد فى مرتبة عالية بين الشعراء القُدامى . فقد وضعه محمد بن سلام [2] فى الطبقة الرابعة من الفحول ، مع طرفة ، وعلقمة بن عَبَدة ، وعَدِىّ بن زيد ؛ وتخبرنا الفقرة نفسها أن ذلك المؤلف لايعرف من قصائده سوى : « أَقْفَرَ مِنْ أهْلِهِ مَلْحُوبُ » ؛ إذ آن شعره مضطرب ذاهب ، لقدمه ، على الرغم من شهرته الواسعة . ويقول ابن قتيبة [3] إن القصيدة الأولى تعد « من السبعة » : أى من المعلقات ؛ وربما قدّرها النقاد لصبغتها التعليمية والأخلاقية التى ليست ميزتها الكبرى فى نظرنا . ولا شكّ أن سبب هذا اقتران عبيد بعدىّ بن زيد الحَضَرى ، الذى يختلف عن عبيد من جميع الوجوه الأخرى اختلافا كبيرا . واشتهر عبيد بوصف العواصف والأمطار . وروى يونس عن ذى الرمة (وكان بارعا فى هذا الشأن) أنه فضّل امرأ القيس عليه ؛ ولكنه يعدّ مع أوس بن حجر سادة هذا الوصف [4] ويتناول كثير من قصائده الباقية العواصف [5] . ويذكره الفرزدق « من النوابغ الماضين الذين وهبوه الشعر » فى عبارة مشهورة يعدّد فيها من سبقه من الشعراء العظماء [6] .

ولم تصل إلينا أخبار عن أوّل من جمع قصائد عبيد الباقية من العلماء ، ويبدو من عبارة ابن سلام (المتوفى سنة ٢٣١) المشار إليها آنفا أنها لم تكنْ جُمعت حين ألف « طبقات الشعراء الجاهليين » ، ومع ذلك يشار فى شرحنا (للديوان) إلى أبى عمرو الشيبانى ، ذلك الراوى الجامع الذى لا يَمَلّ للشعر القديم ، والمتوفى قبل ذلك بعشرين عاما أو خمسة وعشرين (يقال : إنه توفى عام ٢٠٥ أو ٢٠٦ أو ٢١٣) يشار إليه حوالى عشر مرّات [7] على أنه عَرَف عدة قصائد ؛

---

(١) الديوان (طبع ليال) ص ٢ .

(٢) الأغانى ١٩ : ٨٤ .

(٣) الشعر والشعراء ١٤٤ .

(٤) ابن قتيبة : الشعر والشعراء ٤١ وبعدها .

(٥) أرقام ٣٤ ، ٤٩ : ٩ — ١١ ، ٣٠ : ١ — ٧ ، ١١ : ٦ — ١٦ ، ٢٣ ، ٣٥ .

(٦) النقائض ، رقم ٣٩ ، الأبيات ٥١ — ٦٢ (ص ٢٠٠ — ٢٠٢) ؛ يذكر عبيد فى البيت ٥٥ مع معاصره ، أبى دواد الإيادى .

(٧) ص ٩ سطر ١٤ (سمعه حميد من أبى عمرو) ، ١٦ : ١١ ، ٢٥ : ٤ ، ٢٩ : ١١ ، ٣١ : ٦ ، ٥٠ : ٧ ، ٥١ : ١٤ ، ٥٥ : ١٥ ، ٥٦ : ٩ ، ٥٩ : ٥ [من طبعة ليال ، وانظر فهارس هذه الطبعة] .

كما أنه راوى خبر إلهام عبيد بالشعر الذى يفتتح به الديوان . ويُذكر الأصمعى (المتوفى سنة ٢١٣) وأبو عبيدة (المتوفى بين عامى ٢٠٨ و ٢١١) فى الشرح ثلاث مرّات [١] ، وخالد ابن كلثوم مرّتين ، وأبو الحسن الأثرم مرّة [٢] ، ولكن الرواة الذين يتردّد ذكرهم كثيرا فى الشرح هم ابن كناسة وأبو الوليد ؛ ويبدو أن الأوّل المذكور باسمه فى شرح البيت الثانى من القصيدة الثالثة هو محمد بن كناسة الذى يترجم له صاحب الأغانى ١٢ : ١١١ — ١١٥ ، وهو أسدىّ من بنى الحارث بن ثعلبة (أخى جد عبيد : سعد بن ثعلبة) عاش فى الكوفة حيث يظهر أن جماعة كبيرة من أسد أقامت بها فى العصر الأموى ، وأوائل العباسى ؛ وكان ابن ابن أخت [٣] إبراهيم بن أدهم الصوفى القديم المشهور ، ورثاه . وذكر جامى « فى نفحات الأنس » أن إبراهيم بن أدهم توفى عام ١٦١ أو ١٦٦ ، ويقال إن ابن كناسة سمع من الأعمش الذى يذكره « لسان العرب » أحيانا ، وهو مولى بنى كاهل بن أسد فى الكوفة ، وتوفى فيها عام ١٤٧ (أو ١٤٨ أو ١٤٩) .

أما أبو الوليد الذى يذكر أيضا فى شرح هبة الله فى « المختارات » [٤] فلم نستطع أن نعرفه . فربما كان أبا الوليد عيسى بن يزيد بن بكر بن دأب من بنى الشداخ بن كنانة ، المذكور فى « الفهرست » (ص ٩٠) [٥] فى النسابين والمحدثين ؛ ويقال فيه إن أباه كان عالما بالحديث وأشعار العرب . وتدلّ المقتبسات الكثيرة من قصائد عبيد فى كتب الجاحظ (المتوفى سنة ٢٥٥) دلالة واضحة على وجود الديوان (أو القصائد المؤلّفة له) فى أوائل القرن الثالث ، على حين يؤكد ابن قتيبة (المتوفى سنة ٢٧٦) صحتها فى أواخر القرن نفسه ، وتوجد اثنتاعشرة قصيدة لعبيد فى المجموعة المسماة « مختارات شعراء العرب » التى جمعها هبة الله بن الشجرى (المتوفى سنة ٥٤٢) ، وتوجد نسخة منها بخطّ المؤلف فى دار الكتب المصرية بالقاهرة ، وطُبعت بالحجر عام ١٣٠٦ هـ .

---

(١) الأصمعى ١١ : ٧ ، ٤١ : ١١ ، ٥٢ : ١ أبو عبيدة ٤١ : ١٢ ؛ ٥٢ : ١ ، ٥٩ : ٥ [من طبعة ليال ، وانظر فهارس هذه الطبعة] .

(٢) خالد ٤١ : ٣ ، ٥٢ : ٢ : الأثرم ٣٧ : ٢ — ٣ [من طبعة ليال ، وانظر فهارس هذه الطبعة] .

(٣) أو ابن خالته ، الأغانى ١٢ : ١١٣ .

(٤) انظر التعليق على قصيدة ١٣ ، البيت ١١ [فى الترجمة الإنجليزية] .

(٥) يذكر أيضا عند ابن دريد ١٠٦ .

ولا يحمل شرح القصائد أىّ اسم ، وليس له مقدمة تشرح مصدره ؛ ومن الواضح أنه « كوفى » الأصل [1] ، وينتمى الراويان المذكوران فيه (أبو عمرو وابن كناسة) إلى تلك المدرسة . ويبدو أن تعليقاته (أو بعضها) كانت مكتوبة أصلا على هامش الأبيات ؛ فأضاع المُجلِّد نهايات بعضها فى تجليد النسخة التى كُتبت عنها نسختنا ، فنقصت الشروح (انظر مثلا القصيدة الثانية ، البيتين ٢ ، ٣ ، والقصيدة الثالثة ، البيت الثامن ، وغيرها [فى طبعة ليال]) . ويرتكب الشارح أحيانا أخطاءً جسيمة ، لايمكن أن تصدر عن عالم بارز . انظر مثلا شرح البيت ١٢ من القصيدة ٤ ، والقصيدة ٥ البيت ١١ نحويا ؛ والقصيدة الأولى ، البيت ٢٩ ، والقصيدة ٦ ، البيت الأوّل ، والقصيدة ١٢ البيت ١٢ فى معنى الألفاظ ، والقصيدة ٢٠ البيت ٨ فى الأخبار . وغالبا ما يكون الشرح غير كاف ، متجنبا الصعوبات الحقيقية ، محتويا على تكرار كثير لاطائل تحته . ولايستشهد بأبيات الشعراء الآخرين فى شرح الألفاظ إلا فى خمس مرّات [2] . أما القصائد الثلاث الأخيرة من المخطوط ، وفيها كثير من المشاكل التى تحتاج للحلّ ، فليس عليها أىّ شرح إطلاقا .

وقد نُسخ هذا النصّ الذى لم تدوّن فيه روايات مخالفة ، ولعله كان رديئا ، سيئ الخط ، مهمل الضبط والإعجام ، فى مخطوطتنا بطريقة كثيرا ما تكشف عن أعظم قسط من الجهل والإهمال . ولمحة واحدة كافية لتبين ذلك ، لو قُورنت إحدى القصائد الموجودة فى « المختارات » بنصنا والاختلافات الموجودة بينهما . والناسخ مغربىّ ، لعله من الأندلس ، وإذ كانت الدواوين الأربعة بخط واحد [3] ، فإن تاريخ المخطوط قريب من عام ٤٣٠ (انظر خاتمة ديوان عامر بن الطفيل) . وكان أصل مخطوطتنا مغربىّ الخط أيضا ، كما يتضح من أمثال التحريف التالى : « وَاسْتَكَلَ عَنْهُنَ » بدلا من « واسْتَظَلّ تحتهنّ » فى ص ١ : فمن الممكن الخلط بين « ظ » عند جرّ مركزها إلى الخلف كما فى الخط المغربى بحرف « ك » ؛ وانتقلت نسختنا المغربية ، التى كثيرا ما تهمل النقط ، وغالبا ما تهمل الإعجام ، إلى حيازة مشرقى ، فزوّدها بالأمرين بطريقة تبين أنه لم يكن لديه فى أغلب الأحيان أقلّ فكرة عن المعنى . فالرمز « ف » فى المغرب يشير إلى القاف و « ق » يشير إلى الفاء : ولكن العربى المشرقى

---

(١) انظر الحاشية التى على البيت ١٢ ، من القصيدة ٢١ [طبع ليال] .

(٢) الأعشى ٧ : ٦ ، زهير ١٧ : ٢ لبيد ١٠ : ١١ ، ٢٢ ، ٢ ، كعب بن زهير ٢٠ : ١٦ [طبع ليال]

(٣) دواوين عبيد ، وعامر بن الطفيل ، وطفيل الغنوى والطرماح .

صاف النقط الناقصة وفقا للطريقة الشائعة فى المشرق، مستخدما « ڤ » للقاف و « ڤ » للفاء . فكان الخلط الناتج عن ذلك غير عادى [1] .

وكان من الخطر كل الخطر أن أشتغل على مخطوط وحيد كهذا ، محاولا تحقيق النص وإقامته ، لولا وجود قدر كبير من القصائد التى يضمها الديوان فى مراجع أخرى . فيذكر ما لا يقل عن ٢٣ قصيدة ، من القصائد الأربع والعشرين الموجودة فى المخطوط بأكاملة أو مقطوعات منها ، فى كتب أخرى . وتضم القصائد ٤٦٢ بيتا ، يوجد منها فى المواضع الأخرى ٢٧٩ ، فلا نُتْرَك بدون عون تحت رحمة المخطوط إلا فى ١٨٣ بيتا . ومن المحقق أن كثيرا من هذه الأبيات يواجهنا بمشاكل جدية ؛ ولكن فى الإمكان إبراز نص يبدو صحيحا ، ولا يختلف اختلافا ما ديا عن المخطوط ، بالاستعانة بالفقرات المماثلة فى قصائد عبيد الأخرى والشعر القديم عامة . ولم أر ، عند الطبع ، من الضرورى الإشارة إلى التغييرات التافهة التى أجريها فى المخطوط ، مثل وضع النقط الناقصة ، أو تصحيح الأخطاء الواضحة التى وقع فيها المالك الثانى عند وضعه إياها : فلو أشير إلى كل تغيير من هذا اللون لتضخمت التعليقات تضخما غير محتمل ؛ ولكننى أعتقد أننى قد أبنت جميع الاختلافات الهامة بين النص الذى اعتمدته والمخطوط . وقدمت صورة من القصائد الثلاث الأخيرة ، التى أهمل شرحها إهمالا تاما ، ولم يرد من أبياتها الـ ٧١ غير سبعة فى مراجع أخرى ؛ للرجوع إليها للمقارنة :

أما صحة الأبيات فينظر إليها الأشخاص المختلفون من زوايا مختلفة بالطبع . ومن المؤكد أن قصائد البدو الوثنيين لم تنتقل إلينا مكتوبة ، وإنما بالرواية ، وكانت القصائد التى تسجل انتصارات القبيلة من أعزّ مآثرها ، فترويها جيلا عن جيل . وبالإضافة إلى هذا النوع من المعرفة بين القبيلة ، وُجِد الراوى ، ومهمته أن يحتفظ بالأشعار كما تعيها ذاكرته . وفى العصور التى لاتستخدم فيها الكتابة إلا فى المدن ولأغراض خاصة ، يُعتنى بالذاكرة عناية كبيرة ، وتكون أقدر كثيرا منها فى العصور الحديثة ؛ وليس من المدهش أن تتداول القصائد بهذه الطريقة قرنين أو ثلاثة من الزمان [2] .

ومن الطبيعى أن يظنّ المرء أن هذه القصائد اعتراها بعض التغيير فى أثناء هذا الانتقال :

---

(١) تيسر الصفحات الأربع المصورة فى الديوان التحقق من هذه الملاحظات .

(٢) كثيرا ما أشير إلى أن حفظ الأدب الهندى القديم فى القرون السابقة على شيوع التدوين ، يعطينا مثالا أكثر إثارة للدهشة من أمثلة ما تستطيع الذاكرة البشرية القيام به .

فعدم تثبت الذاكرة يؤدى إلى إسقاط أبيات ، أو اضطراب ترتيبها ، أو إبدال عبارات منسية بعبارات من الراوى ؛ ومثل هذه الظواهر مألوفة فى كل مكان . ولكننا حين نختبر القصائد ذاتها ، نجد قدرا من الشخصية الذاتية يكفينا للقول بأنها فى معظمها من عمل المؤلفين المنسوبة إليهم . فالمعلقات السبع مثلا ، كلها قصائد ذوات ذاتية ومزايا عالية ، وتقدم لنا شخصيات شديدة التميز . ونفس الأمر نجده فى القصائد الثلاث الباقية (للأعشى والنابغة وعبيد) التى عدّها كثير من النقاد من المعلقات . فقد تركت شخصية امرئ القيس ، وزهير ، ولبيد ، والنابغة ، والأعشى طابعها على شعرها ، ومن إفراط الخيال أن تظنّ أن معظم القصائد المنسوبة لهم منحولة فى عصر متأخر ، ومن تأليف أدباء عاشوا تحت ظروف مغايرة تمام المغايرة ، وفى عالم شديد الاختلاف عن أيام الحياة البدوية فى الصحراء العربية .

والسبب الثانى لاستمساكنا بأن الشعر القديم كما وصل إلينا صحيح فى جملته ، وليس منحولا ، هو إيمان شعراء القرن الأوّل الهجرى به ، فقد استمرّ شعراء القرن الأوّل المشهورون : الفرزدق ، وجرير ، والأخطل ، وذو الرمة على تقاليد الشعراء فى العصر الجاهلى ؛ فبالإضافة إلى إشارتهم الشخصية استعملوا تراثهم الشعرى مرارا وتكرارا ، متناولين نفس الموضوعات بنفس الطرق ، محسّنين ومحوّرين ومستعيرين ، ولكن ما زالوا متقيّدين بنفس التقاليد (١) ، وليس هناك من شكّ فى أنه قد وصلتنا قصائد هؤلاء الشعراء صحيحة ؛ فقد عاشوا فى عصر عمّ استخدام الكتابة فيه لتدوين المؤلّفات الشعرية ، وإن كانت الرواية لا تزال أداة نشرها بين الجمهور .

وسبب ثالث هو أن القصائد القديمة كانت ملأى بألفاظ غريبة على العلماء الذين كانوا أوّل من عرض هذه القصائد لمحكّ النقد ؛ فقد كانت تنتمى لمرحلة قديمة من اللغة كانت غير مستعملة فى الزمن الذى كتبت فيه القصائد وجُمعت فى دواوين . ويجب أن يتنبّه كل من ألف الشروح القديمة (التى تكون المادة التى جمعت منها المعاجم فيما بعد) أن الشرّاح — الذين يختلفون فيما بينهم اختلافا كبيرا — توصلوا إلى شرح الصعوبات بمقابلة عبارة بأخرى ، وبالجدل والنقاش لا بالإشارة إلى لغة الخطاب التى لم تكن تحتوى على الألفاظ التى يبحثون عن معناها ، وتعتمد المعاجم كل الاعتماد على الشعر القديم ولغة القرآن والحديث ، وتصرّح بصحة الشعر تصريحها بصحة القرآن والحديث .

(١) تصور عدة فقرات فى الشعر والشعراء لابن قتيبة هذه المسأله تصويرا حسنا كل الحسن .

ودعنا نختبر القصائد والشذرات المنسوبة لعبيد ، وكلّ هذه الاعتبارات فى ذاكرتنا ، نجد قدرا كبيرا منها يتألف من « نسيب » أو « تشبيب » القصائد الكبيرة ، فتعرض عمل الشاعر المحترف بهذه الطريقة ، ولا بد أن هذه القطع حُفظت لأنها كانت موضع الإعجاب ، ويصرّع مطلع ثلاث وعشرين قصيدة من قصائد الديوان الثلاثين ، ويرد بها ذكر مواضع قبيلة الشاعر وبطنه ، وتتكرّر هذه المواضع من قصيدة لأخرى ، وتدلّ على أن المؤلف رجل من سعد بن ثعلبة من أسد التى توجد فى أرضها المواضع المذكورة ؛ وتحتوى القصائد على إشارات إلى أحداث عصر عبيد : مقتل حُجر ، والأسلحة العظيمة التى تفخر بها القبيلة ، ومقاومة غسّان وملكها الحارث الأعرج . وكل هذا يتفق مع كونها من تأليف عبيد . وفى بعض الحالات (مثل الإشارة إلى الصراع مع عامر فى النسار ودارم فى الجفار ، فى القصيدة ٣ البيتين ١٨ ، ١٩ ، إذا كان تأريخ الروايات لهذه الحوادث بعد شعب جبلة صحيحا) يبدو أنه أُدخلت فى قصائد عبيد أبيات تشير إلى حوادث وقعت بعد زمن عبيد من تأليف شعراء آخرين من القبيلة .

وتكشف لغة القصائد عن شخصية ذاتية بارزة . وهناك ثبتا بالألفاظ التى ترد أكثر من مرّة ، ويبدو أن الشاعر كان يميل إليها :

الأُلَى : الذين ٣٢ ، ١ ؛ ٤٣ ، ١٨ .

أهلُ القِباب : أهل الخيام النفيسة ، [السادة] ، من قبيلته ٦ ، ٥ ؛ ١٦ ، ١٤ ؛ ٤٨ ، ٢ .

أهل الجُرْد : أهل الخيل القصيرة الشعر ٨ ، ٢ ؛ ١٦ ، ١٤ ؛ ٤٨ ، ٣ .

أنيس : نوع ، من الصديقات ٣٨ ، ٤ ؛ أوانس ، الجمع ٣١ ، ٢ ؛ ٤٢ ، ١٤ ؛ آنسة ٤٩ ، ٥ ، ١٢ ، ١١ ، ٥٢ ، ٢٥ ؛ [اللواتى يأنسن فى الحديث ، أويؤنس بهن من غير ذنب] .

ثجّ المطرُ : هطل فى غزارة ٣٠ ، ٢ .

الجَميع : جميع القبيلة النازلة معا ٤٠ ، ٤ ؛ ٤٢ ، ٢ ؛ نفس القصيدة .

مجلجِل : سحاب فيه رعد ٣٤ ، ١ ؛ ٤٧ ، ٣ .

حَرِقُ البوَارِقِ : سحاب كأنه نار توقد ٤٧ ، ٣ . خَرِقُ البوارق : سريع البوارق : انظر بَرْقُها حَرِقٌ فى ٤٩ ، ١٠ والشرح .

خِرْص : سنان الرمح (أو رمح) ٣ ، ٢١ ؛ ٤٣ ، ١٢ ؛ ٥١ ، ١٦ .

خِلَل : أعماد السيوف المنقوشة : آثار الخيام مشبهة بها ٣٨ ، ٦ ؛ خلال بنفس المعنى ٤١ ، ٣

داوِيَة : صحراء واسعة ٤٩ ، ١٢ ؛ الدَّوّ أيضا ٣٢ ، ١٢ ؛ والدَّوِيّ ٤٩ ، ١٤ .
دَيْمُومة : صحراء واسعة ٢٨ ، ١٣ ؛ ٤٩ ، ١٢ .
دُلَّح (سحب) : تحمل أحمالا ثقيلة (من المطر) ٣٠ ، ٢ ؛ دَلاَّح بنفس المعنى ١١ ، ١٤ .
أذاع به : فرقه ٤ ، ٢ ؛ ٤٧ ، ٣ .
شُنَانَة رَجَبِيَّة : مطرة فى رجب (الشتاء) ٥٠ ، ٣ .
ليلة رجبيَّة : ليلة شتوية ١٣ : ١٠ .
رَيِّق : أوّل المطر ١١ ، ٩ ؛ ٤٩ : ١٠ .
سَبْسَب : أرض مستوية لاشيء فيها ٥ ، ٤٢ ؛ ٤١ ، ٣٣ (ولكن بسابس ٤٢ ، ٢) .
مَسارِب : مراعى ١٣ ، ٤ ؛ ٤٧ ، ٤ .
مشيحاً : مجدّا فى السير ٥ ، ٣١ .
عقاب : نسر ، يطلق على العلم ٣ ، ٢١ ؛ ٥٢ ، ٢٢ .
عَكَفَ : وقوف الخيل على المحارب القتيل ٤٧ ، ١٠ ، ١٤ ؛ وقوف الأسد متفرّسة ٣١ ، ١٩ .
عَوْم السُّفُن : سير السفن ١٠ ، ٥ ؛ ٥١ ، ٣ .
غاب : آجام ، أو لعلها عَلَم ٥ ، ٣٤ ؛ ٣٢ ، ١٨ .
قد أترك القرن : أغادر خصمى (راقدا) ١٠ ، ١٢ ؛ ١٦ ، ١٥ .
قَلُصِي : شَمَّرى ، يخاطب ناقة ٣١ ، ٧ ؛ قَلَّصَتْ ٤٢ ، ١١ .
قَفا : ظهر ، مكان : قَفا حِبر : ٤ ، ٣ ؛ قفا شراف : ٢٨ ، ٣ ؛ قفا ذَيّال : ٥١ ، ٢ الشرح .
لُجَيْن : فضة ٤١ ، ٧ ؛ ٥١ ، ١١ الشرح .
تَلَفُّه شَمْأَل : تلفه ريح الشمال ٥ ، ٣٥ ؛ نَلَفُّ ضِرامَها بضرام ٤٧ ، ١٧ .
أمثالى : نظرائى ٤٠ ، ٤ ؛ ٤١ ، ١٤ ؛ ٤٢ ، ١ .
مُرّان الوَشِيج : الرماح ٣ ، ٥ ؛ ٥٠ ، ٦ .
مَطّ حاجِبَيْك : تقطيب ٤١ ، ١٢ ؛ انظر ٥١ ، ٨ .
مَها ، مَهاة : بقرة وحشية ، تطلق على المرأة ٣٢ ، ١ ؛ ٤٠ ، ١٥ ؛ ٤١ ، ١١ ؛ ٤٩ ، ٦ ؛ (انظر : سِرْب من ظباء ١٠ ، ١٤) .

ناعمة : رخصة ، لطيفة ، لقب امرأة ٢٨ ، ٥ ؛ ٤٠ ، ١٥ ، ٤٩ ، ٦ .
ناهِل : نَواهِل : عطشى (رماح) ٣ ، ٢٧ ؛ ٣٩ ، ١٥ ؛ ٥٢ ، ١٠ .
هَذَاوَ : لتغيير الموضوع ٤٠ ، ٩ ؛ ٤٩ ، ١٢ ؛ ٥٢ ، ١٥ .
هِيْ : لغة أسدية فى هِيَ ٥ ، ٣٣ ؛ ٤٠ ، ١٦ .
أَوْجَرَتْ : طعنت (برمح) ١٦ ، ١٦ ؛ ٤٠ ، ١٢ .

ويتجلى فى موضوعات عدة قصائد طريقة متسقة فى الطواف حول موضوعات واحدة . فالقصيدة ٥١ تعالج نفس موضوع القصيدة ٤١ ، ونجده ثانية فى القصيدة ١١ ، الأبيات ١ — ٥ . وفى المفضليات قصيدة (رقم ٤) للجُمَيح (أو منقذ) بن الطماح ، من قبيلة عَبيد ، عاش فى الجيل التالى له ، تتناول الموضوع نفسه ، بطريقة تذكرنا بعَبيد ؛ وقد قُتل الجميح ، الذى يصف نفسه بكبر السنّ « البيت الثالث » فى شِعب جَبَلَة ؛ وقد ذكر امرؤ القَيس (٣٠ : ١٣) أباه الطماح فى عِداد أعدائه ، وأنه الذى دسّ له عند قيصر . ويتكرّر موضوع القصيدة ٤٧ ، البيت ٦ وبعده فى القصيدة ٥٢ . وتتشابه القطع المختلفة التى تصف العواصف تشابها بارزا فى التناول (انظر شرح كل منها) .

وتحتوى القصائد على فقرات غامضة بسبب ضياع شرحها ، أو سقوط أبيات توضح معانيها ؛ كما فى القصائد ٣ ، ١٣ ، الأبيات ١٦ — ١٧ . ويشك فى معانى عدد كبير من الألفاظ ، أو يجهل معناها ؛ ولكن لا يمكن القطع بصحة الألفاظ فى هذه الأحوال لرداءة المخطوط .

وصفوة القول أنه ليس هناك من سبب للشكّ فى صحة نسبة أغلب القصائد المنسوبة لعبيد ، أما ما نشكّ فيه (لأسباب بيّنّاها فى ترجمة كل قصيدة) فالقصائد ٤٣ ، ٣٠ ، ١٢ ، ٤٨ ، بالإضافة إلى أبيات من القصيدة ٣ . وأما الأبيات الحكمية ذات الصبغة الإسلامية ، التى تظهر فى القصيدة الأولى وبعض القطع الأخرى ، فربما كانت من زيادة بعض المتأخرين . ومن الواضح أن بعض الشذرات فى الضميمة منحولة أو منسوبة خطأ لعبيد ، مثل رقم ١٥ ، ١٧ ، ١٨ ، ٢١ ، ٢٩ ، ٣٣ ؛ وربما كان الباقى صحيحا .

وأسلوب عبيد طبيعى وسهل ، ولا يتجلّى فيه التكلّف الذى أُغرم به الأدباء فيما بعد . ولم تَشُقّ ترجمة القصائد (غير المحرفة) فى معظم الأحيان إلا فى مواضع قليلة .

مقدمة جامع الديوان المخطوط

كان من شأن عبيد بن الأبرص بن جُشَم بن عامر [بن هِرّ] بن مالك بن الحارث [ابن سعد] بن ثعلبة [بن دودان] بن أسد بن خُزيمة بن مدركة بن الياس بن مُضر بن نزار بن معدّ بن عدنان ، أنه كان رجلا مُقِلاً لامال له . فأقبل ذات يوم ومعه غنيمة له ومعه أخت له تُدعى بماوية ليورد غنمه : فمنعه رجل من مالك بن ثعلبة وجبَهه . فانطلق حزينا مغموما للذى صنع المالكى به حتى أتى شجرات واستظلّ تحتهنّ ، فناما هو وأخته . فزعموا أن المالكى نظر إليه وإلى أخته [إلى جنبه فقال] :

ذاك عَبيد قد أصاب ميًّا يا لَيتَــهُ ألقَحها صَبيًّا

فحملت فولدت ضاويًّا

فسمعه عبيد فرفع يديه إلى السماء ثم ابتهل فقال : اللهمّ إن فلانا قد ظلمنى ورمانى بالبهتان ، فأَدِلْنى منه وانصرنى عليه . ثم رفع رأسه إلى السماء ثم ابتهل فقال : اللهمّ ذاك يقول الشعر . [ثم نام] .

فزعموا أنه أتاه آت فى منامه بكبة من شعر فألقاها فى فيه وقال : قل ما بدا لك ، فأنت أشعر العرب وأمجد العرب : إن صرت مقلاً فلِمَا بسطت يدا ووصلت رحما . فانتبه وهو يرتجز ببنى مالك (وكان يقال لهم بنو الزّنْية) وهو يقول :

يا بنى الزّنيــة ما غرّكم لكم الويل بسربال حُجُرْ

فلم يزل فضله فى قومه يُعرف حتى قُتل .

وكان من [حديث] قتله أن المنذر بن ماء السماء بَنَى الغَريَّين . فقيل له : ماذا تريد بهما ؟ (وكان بناهما على قبرى رجلين من بنى أسد كانا نديميه ، أحدهما خالد بن نَضْلة الفقعسى ، وكان أسر يوم جبلة . والآخر عمرو بن مسعود) ، فقال : ما أنا بملك إن خالف الناس أمرى : لايمرّ أحد من وفود العرب إلا بينهما . وكان (له) فى السنة يومان معروفان

بيوم بؤس ويوم نعمة : فكان إذا خرج يوم بؤسه يذبح فيه أوّل من يلقاه كائنا من كان ؛ وإذا خرج فى يوم نعمته يصل أوّل من يلقاه ويحبوه ويُحسن إليه . فبينا هو يسير فى يوم بؤسه ، إذ أشرف له عبيد . فقال لرجل ممن كان معه : من هذا الشّىّ ؛ فقال له : هذا عبيد بن الأبرص ، فأتى به . فقال له الرجل : أبيتَ اللّعن اتركه ، فإن عنده من حُسن القريض أفضل مما تدرك فى قتله ، مع أنه من رؤساء قومه وأهل النجدة والشأن فيهم ؛ فاسمع منه وادعه إلى مدحك ؛ فإن سمعت ما يعجبك كنت قد عفَتْ له المنة ، فإن مدحَتْه الصنيعةُ ، فإن لم يعجبك قوله كان هنيئا عليك قتله ، فإذا نزلنا فادع به . قال : فنزل المنذر فطعم وشرب ، وبينه وبين الناس حجاب يراهم منه ولا يرَوْنه . فدعا بعبيد من وراء السّتر . فقال له رديفه : ما ترى يا أخا أسد ؟ قال : أرى الحوايا عليها المنايا . قال : فعليك بالخروج له ليقرّبك ذلك من الخلاص . قال : ثكلتك الثواكل ، إنى لأعطى باليد ، ولا أُحْضِر البعيد ، والموت أحبّ إلىّ . قال [له الملك] : أفقلت شيئا ؟ قال : حالَ الجَريض دون القريض . قال له المنذر : أنشدنى من قولك : « أقفر من أهله ملحوب » .

قال عبيد :

أقفر من أهــله عبيد فليس يُبدى ولا يُعيد

قال : أنشدنا أيضا . فقال :

الخمــر تكنى الطــلاء كما الذئب يكنى أبا جعده

فقال : قل فىّ مديحا يسير فى العرب . [قال] : أما والصّبارُ فما عَجِل فلا . قال : نطلقك ونحسن إليك . قال : أما وأنا أسير فى يديك فلا . قال : نردّك إلى أهلك ونلتزم رِفْدَك : قال : أما على شَرْطِ المدح فلا .

قال عبيد :

أوصى بنىّ وأعمامهــم بأنّ المَنايا لهم راصــده
لها مــدّة فنفوس العباد إليها وإن جهدوا قاصــده
فو الله إن عشت ما سرّنى وإن متّ ما كانت العائده

فقال بعض القوم : أنشد الملك . قال : لايرجى لك من ليس معك . قال بعضهم من القوم : أنشد الملك . قال : وأُمِرَّ دون عُبَيدة الوَذَم . قال بعض القوم : أنشد الملك . فقال : حال الجريض دون القريض . وكان مما أنشده عبيد بن الأبرص :

مَهْلاً أبَيْتَ اللَّعْنَ [مَهْـــلا إن] فيما قُلْتَ آمَـــهْ
فى كُلِّ وَادٍ بَـــيْنَ يَثْـــرِبَ فالقُصُورِ إلى اليمامَهْ
تَطْرِيبُ عانٍ أوْ صِـيا حُ محرَّقٍ أو [صوْتُ] هامَهْ
بَرِمَتْ بَنُو أسَـــدٍ كَمَا بَرِمَتْ ببَيْضَتِها الحَمامَهْ
مَهْما تَرَكْتَ تَرَكْتَ عَفْـــوًا أو قَتَلْتَ فلا مَلامَـــهْ
ذَلُّوا فأعْطَوْكَ المَقَـــا دَةَ كالأُحَيْمِرِ ذى الخزامهْ

قال له المنذر : يا عبيد أىّ قِتلة أحبّ إليك أن أقتلك ؟ قال : أيها الملك رَوِّنى من الخمر وافصدنى ، وشأنك شأنى . [فسقاه الخمر ثمّ] أقطع له الأكحل : فلم يزل الدم يسيل حتى نفد الدم وسالت الخمر فمات .

تمّ حديثه ثم ابتدأنا بشعره .